

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[35] بكتابهم السماويين، كان اتباع هذين الدينين خير حليفين للمسلمين، لكنهم اتحدوا معاً - لا بأمر من كتابهم - بل لأغراض سياسية وتكتلات عنصرية وأمثال ذلك. بعد ذلك تبين الآية سبب هذا النهي في جملة قصيرة، وتقول بأن هاتين الطائفتين إنما هما أصدقاء وحلفاء أشباههما من اليهود والنصارى حيث تقول: (بعضهم أولياء بعض) أي أنهما يهتمان بمصالحهما ومصالح أصدقائهما فقط، ولا يعيران اهتماماً لمصالح المسلمين، ولذلك فإن أي مسلم يقيم صداقة أو حلفاً مع هؤلاء فإنه سيصبح من حيث التقسيم الاجتماعي والديني جزءاً منهم، حيث تؤكد الآية في هذا المجال بقولها: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم). وبديهي أن لا يهدي الأفراد الظالمين الذين يرتكبون الخيانة بحق أنفسهم وإخوانهم وأخواتهم المسلمين والمسلمات، ويعتمدون على أعداء الإسلام تقول الآية: (إن لا يهدي القوم الظالمين). وتشير الآية التالية إلى الأعداء التي كان يتشبه بها أفراد ذوي نفوس مريضة لتبرير علاقاتهم بالشرعية مع الغرباء، واعتمادهم عليهم وتحالفهم معهم، مبررين ذلك بخوفهم من الوقوع في مشاكل إن أصبحت القدرة يوماً في يد حلفائهم الغرباء، فتقول الآية: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) (1). ويذكر القرآن الكريم هؤلاء الضعفاء ذوي النفوس المريضة رداً على تعللهم في التخلي عن حلفهم مع الغرباء، فيبين لهم أنهم حين يحتملون أن يمسك اليهود والنصارى يوماً بزمام القدرة والسلطة يجب أن يحتملوا - أيضاً - أن ينصروا - إن كلمة (دائرة) مشتقة من المصدر (دور) أي الشيء الذي يكون في حالة دوران، وبما أن القدرات المادية والحكومات هي في حالة دوران دائم على طول التاريخ، لذلك يقال لها (دائرة) كما تطلق هذه الكلمة - أيضاً - على أحداث الحياة المختلفة التي تدور حول الأشخاص.